احمد بن علي السيرافي البصري شيخ علماء الرجال في عصره

الاستاذ الدكتور
حسن الحكيم
جامعة الكوفة/ كلية الآداب

ينسب المحدث والفقيه والرجالي الشيخ ابوالعباس احمد بن علي بن العباس بن نوح الى مدينة " سيراف" الواقعة على ساحل الخليج، تلك المدينة التي انتسب اليها بعض اعلام الفكر والعلم والأدب، ولم تحدد المصادر تاريخ مولد الشيخ السيرافي، ومراحل سيرته العلمية، ومن المحتمل انه تلقى علومه الأولى في مدينة سيراف، ومنها توجه الى مدينة البصرة وهي اقرب الحواضر العلمية لموطنه، وقد انتسب اليها فقيل عنه "السيرافي البصري"، وأشار اليه الرجالي ابو داود الحلي بقوله: انه نزيل البصرة[1]، ويقول المحدث ابن شهر آشوب " سكن البصرة"[2].

وقد احتل مقاما علميا رفيعا في الوقت الذي بلغت فيه الحضارة العربية الإسلامية نضجها وتطورها في القرنين الرابع والخامس الهجريين، كما أصبحت العلوم الإسلامية في مرحلة متقدمة.

فقد احتضنت حواضر العلم والفكر في الكوفة والبصرة وبغداد والنجف والموصل وغيرها من مدن العراق عددا كبيرا من رجال العلم والفكر، وكان الشيخ احمد بن علي السيرافي قد اختار مدينة البصرة موطنا له، ومنتجعا لعلمه وفكره في علوم الفقه والحديث والرجال، حتى أن علماء الرجال قد اجمعوا على وثاقته[٣].

ويبدو أن مروياته في الحديث والرجال كانت موضع الاطمئنان لدى الفقهاء والمحدثين، بحيث أصبح كتابه "المصابيح" مصدرا أساسيا لعلماء الرجال، فيقول تلميذه الشيخ ابو العباس النجاشي الاسدي (ت ٤٥٠هـ): أن الشيخ أبا العباس السيرافي ذكر من روى عن الأئمة من آل البيت عليهم السلام، وافرد لكل أمام عددا من الرواة[٤].

ولعل هذه المنهجية في التبويب قد سبق فيها الشيخ السيرافي غيره من علماء الرجال، وهي بلاشك سوف تسهل على الباحثين مهمة الرواية والوقوف على تلاميذ الأئمة عليهم السلام بسهولة ويسر.

وان كتاب الشيخ السيرافي المعروف بكتاب "الزيادات" قد ركز ايضا على رواة الأئمة من آل البيت، وبه أضاف على كتاب الشيخ أبي العباس احمد بن سعيد المعروف "بابن عقدة" الهمداني الكوفي (ت٣٣٣هـ) الذي خصصه لرجال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام حيث توصل أن تلاميذ الإمام الصادق والراوين عنه كانوا أربعة الآف، وقد ذكر لكل واحد منهم حديثا عن الإمام الصادق مسندا لابائه عليهم السلام، وقد عقب الإمام السيد ابو القاسم الموسوي الخوئي (قدس سره) على رواية هؤلاء بقوله: أن المحدث ابن عقدة لم ينسب اليه توثيقهم[٥]، وان لهذا التعقيب أهمية في تبيان توثيق الراوي أو تجريحه وتضعيفه.

وكان في الوقت نفسه انه تعمق في أخبار السفراء أو الوكلاء الأربعة للأمام المهدي محمد بن الحسن عليه السلام، حتى انه استوفى سيرتهم وأخبارهم، وكان

هؤلاء قد عاشوا في فترة الغيبة الصغرى بين (٢٦٠-٣٢٩هـ)، وقد عاصروا خمسة خلفاء من بني العباس هم: المعتضد بالله، والمكتفي بالله، والمقتدر بالله، والقاهر بالله، والراضي بالله، وكانت وفاة الأخير عام ٣٢٩هـ .. وفي هذه السنة توفي السفير الرابع علي بن محمد السمري، وبوفاته تبدأ الغيبة الكبرى، وقد تصدى المحدث والرجالي احمد بن علي السيرافي في كتابه "أخبار الأبواب" في دراسة البوابين للائمة المتأخرين عليهم السلام، ولا بد انه قد تعرض في هذا الكتاب للسفراء الأربعة الذين كتب عنهم المحدث ابن عقدة.

ويبدو أن الشيخ السيرافي قد تعمق في دراسة علم الحديث دراسة مستفيضة في كتابه "القاضي بين الحديثين المختلفين" .

وذكر المحدث ابو جعفر محمد بن علي السروي المعروف بابن شهر آشوب (ت٥٨٨هـ) كتاب "الفقه على ترتيب الأصول وذكر الاختلاف" ويبدو أن هذا الكتاب قد تناول الفقه المقارن، وكان علماء الأمامية قد تعمقوا في دراسة الفقه المقارن كالشيخ المفيد، والسيد المرتضى، والشيخ الطوسي، وقد حملت مؤلفاتهم لفظ "الخلاف" وذلك للوقوف على مواضيع الالتقاء والافتراق بين الأمامية والمذاهب الإسلامية الأخرى.

ولذا حظيت مؤلفات الشيخ السيرافي باهتمام الفقهاء والمحدثين والرجاليين في القرن الخامس الهجري وما بعده كالشيخ النجاشي الاسدي أبي العباس احمد بن علي (ت٤٥٠هـ) والشيخ الطوسي أبي جعفر محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ)، والشيخ ابن شهر آشوب أبي جعفر محمد بن علي السروي (ت٥٨٨هـ) وغيرهم، ويقول الشيخ النجاشي: كان الشيخ السيرافي ثقة في حديثه، متقنا لما يرويه فقيها بصيرا بالحديث والرواية[٦]، ولذا لم يضعفه الشيخ ابن داود الحلي في كتابه "الرجال" ولم يضعفه في القسم الثاني من كتابه المخصص بالمجروحين والمجهولين من الرجال[٧].

وقد أشار الشيخ النجاشي اليه بالقول:(هو استأذنا وشيخنا ومن استفدنا منه)[٨]، ولم نجد من يطعن في شخصية الشيخ السيرافي وعلميته، سوى الشيخ ابن شهر آشوب الذي قال عنه : انه كان يقول بالرؤية[٩].

وهذا الرأي أن تحقق فهو يتقاطع مع الفكر الأمامي الذي ينفي رؤية الله تعالى سواء في المنامات أو في يوم القيامة، ومن المحتمل أن الشيخ السيرافي قد وقف على بعض الروايات التي تشير الى الرؤية، فقاده اجتهاده الى الأخذ بهـا، ولا شك أن هذا الرأي الذي ذهب اليه بعض الأعلام انه يلتقي مع فكرة التجسيم، وقد أكدت المصادر الأمامية على نفي التجسيم عن الله سبحانه وتعالى، وقد عدها بعض العلماء من الأمور الفاسدة في الأصول[١٠].

لقد أغفلت المصار تاريخ وفاة الشيخ السيرافي، سوى أن العلامة السيد حسن الصدر قال : انه توفى في حياة الشيخ الطوسي[١١]، أي انه قبيل عام ٤٦٠هـ، ومن المحتمل كانت وفاته في مدينة البصرة، إذ لم نجد ما يشير الى انتقاله منها.

هوامش البحث

(١) ابن داود الحلي: الرجال ١٩/١
(٢) ابن شهر آشوب: معالم العلماء ص٢٢
(٣) الطوسي: الرجال ص٤٥٦، الحر العاملي: أمل الآمل ١٩/٢، بحر العلوم: الرجال ٢٢/٣، الخوانساري: روضات الجنات ٦٣/١
(٤) النجاشي: الرجال ص٦٣
(٥) الخوئي: معجم رجال الحديث ٧٠/١
(٦) النجاشي: الرجال ص٦٣ ينظر العلامة الحلي: الرجال ص١٩-٢٠
(٧) ابن داود: الرجال ١٩/١
(٨) النجاشي: الرجال ص٦٣
(٩) ابن شهر آشوب: معالم العلماء ص٢٢
(١٠) العلامة الحلي: الرجال ص١٨
(١١) الصدر: تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام ص٢٦٥

المصادر والمراجع

بحر العلوم : محمد مهدي الطباطبائي (ت١٢١٢هـ)

١- الرجال.،تحقيق محمد صادق وحسين بحر العلوم، مطبعة الآداب، النجف الاشرف، الطبعة الأولى ١٩٥٦م.

الحر العاملي : محمد بن الحسن (ت١١٠٤هـ)

٢- أمل الآمل، تحقيق السيد احمد الحسيني، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، الطبعة الأولى المحققة ١٣٨٥هـ.

الخوئي : ابو القاسم الموسوي

٣-معجم رجال الحديث، مطبعة الآداب، النجف الاشرف، الطبعة الأولى ١٩٧٤م.

الخوانساي : محمد باقر الموسوي

٤-روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، تحقيق اسدالله اسماعيليان، مطبعة مهراستوار، قم ١٣٩٢هـ.

ابن داود : تقي الدين الحسن بن علي

٥- الرجال، المطبعة الحيدرية، النجف الاشرف، ١٩٧٢م.

ابن شهر آشوب : رشيد الدين ابو جعفر محمد بن علي السروي (ت٥٨٨هـ)

٦-معالم العلماء، مطبعة فردين، طهران، ١٣٥٣هـ.

الصدر : حسن هادي الكاظمي (ت١٣٥٤هـ)

٧-تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام، شركة النشر والطباعة العراقية المحدودة، ١٩٥١م.

الطوسي : ابو جعفر محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ)

٨- الرجال، تحقيق السيد محمد صادق بحر العلوم، المطبعة الحيدرية، النجف الاشرف، الطبعة الأولى، ١٩٦١م.

العلامة الحلي : جمال الدين الحسن بن يوسف (ت٧٢٦هـ)

٩- الرجال، تحقيق السيد محمد صادق بحر العلوم، المطبعة الحيدرية/ النجف الاشرف، الطبعة الثانية، ١٩٦١م.

النجاشي : ابو العباس احمد بن علي (ت٤٥٠هـ)

١٠-الرجال مطبعة مصطفوي، ب.ت.